

## الفلكلور والأدب الشعبي

يعود مصطلح الفلكلور إلى الباحث الانجليزي "ويليام تومز" ، اذ تصدر هذا المصطلح الرسالة التي بعث بها إلى مجلة ذي اثنيون في سنة 1846 محاولا إقناع هيئة تحرير المجلة بضرورة الاهتمام بالعادات والتقاليد والممارسات اليومية للشعوب، فاعترف به كمصطلح بديل عن مصطلح الأثریات سنة 1877 في بيان رسمي لجمعية الفلكلور الانجليزية .

مفهوم الفلكلور:

يشير مصطلح الفلكلور إلى شقين فولك ( folk ) ويقصد به العامة أو الشعب، لور (lore) ويقصد به المعرفة.

ويعرفه وليام تومز بقوله أن الفلكلور عبارة عن كل من المعتقدات والأساطير والعادات ، والخرافات والأغاني الشعبية والأمثال ، وكل ما يرجع إلى العصور السالفة "إلا أن علم الفولكلور لا يقتصر على إلقاء الضوء على تاريخ ثقافة معينة، سواء البعيد أو القريب، إنما هو يساهم علاوة على ذلك في تحليل علاقات التفاعل والتأثير المتبادل بين الثقافات المختلفة، سواء كانت أطراف العملية ثقافية عربية أو غربية غالباً ما تكون ( متقدمة، وأخرى متخلفة ) وهى العملية المعروفة في الأنثروبولوجيا الثقافية باسم "التثقف" ، Acculturation، وهى الحالة التي تحدث نتيجة لالتقاء ثقافتين مختلفتين. ويصرح أروبر في أحد المواضع بأن "التثقف يشتمل على تلك التغيرات التي تحدث في ثقافة معينة بتأثير ثقافة أخرى، والذي ينتج عنه ازدياد التشابه بين الثقافتين المعنيتين. ونوجز القول بأن دراسات التثقف التي يساهم فيها علم الفولكلور بنصيب الأسد، تستهدف اكتشاف ديناميات تغير الثقافة في مواضع اتصال الثقافات، وهى مهمة خطيرة الشأن عميقة الدلالة بالنسبة لأي مجتمع".

وقد ساهمت الحركات القومية بتحفيز الاهتمام بعلم الفلكلور ، إذ بدأت الشعوب تحسن بقوميتها وتعزز بلغاتها وتقاليدها وتراثها الشعبي ، فظهرت مفاهيم عدة في هاذ السياق منها : التراث الإنساني المشترك، وكل ما يعبر عن الانتماء للأوطان والإخلاص لقضايا الإنسان، وكانت الورمسية من بين الحركات التي فعلت هذه المفاهيم، فانتعشت فيه ظل هذ التيار كل من الدراسات الأنثروبولوجيا والفلكلورية والأدب الشعبي بشكل عام.

أما عند العرب فقد كان الوضع مختلفا إذ طغى التعليم الديني والاهتمام باللغة الفصحى باعتبارها لغة القرآن، ومحاربة العامية ورفض الاعتراف بها ، كي لا تدخل اللحن إلى اللغة الفصحى ، وبالتالي انطلقت الدراسات الشعبية للتراث الشعبي العربي بجهود فردية من باحثين بعدما لاحظوا قيمة الاهتمام بالتراث الشفوي والقيمة الأدبية والفنية والجمالية التي يحملها هذا الموروث ، فكان محمد بن أبي شنب في الجزائر ومحمود تيمور من مصر ،

وبدأت بعض الجامعات تهتم بهذا المجال بتوجيه الطلبة إلى هذه الدراسة الميدانية، وظهرت الفرق الشعبية التي تعمل على عرض مختلف الفنون الشعبية.

### الأدب الشعبي المفهوم والمضمون

يكشف مصطلح الأدب الشعبي عن بنية لغوية مركبة من مصطلحي : الأدب / الشعبي، فالأدب بمفهومه الواسع يختلف إطاره من مدرسة لأخرى ومن ناقد لآخر تتفق كلها على استحالة حصر الأدب في تعريف محدد وثابت عبر مختلف المحطات الزمنية منها والمكانية، إلا أنها لا تكاد تختلف عن اعتبار كل كلام يحمل قدرا من الجمالية والفنية ويخاطب مشاعر الإنسان وعواطفه ، وخاضع لقلب لغوي محدد ضمن دائرة الأدب.

أما الشعبي فقد جرت العادة — خاصة لدى العرب — إطلاق مصطلح الشعبي على العامي والوضيع ، أو الرخيص أو ما دون المستوى اللائق، ومنها جاءت تسميات كثيرة (حارات شعبية، ثوب شعبي، كلام شعبي...) وغيرها من العبارات التي تحفظ من قيمة الشعبي مقارنة مع الرسمي.

ومن بين التعاريف التي قدمت للأدب الشعبي قولهم " أنه أدب العامية التقليدي الشفاهي، مجهول المؤلف، المتوارث جيل عن جيل،" مقارنة مع الأدب الرسمي الذي يقف في المقابل بخصائص مختلفة عن خصائص الأدب الشعبي.

يطلق مصطلح الأدب الشعبي للدلالة على مجموعة من الأشكال التقليدية (الأساطير – الحكايات الخرافية – القصص – الأمثال – الأغاني – السير...) وسواء أكانت هذه الأنواع التقليدية شفوية أم أعيدت كتابتها وانتقلت فيما بعد من جيل إلى جيل. غير أن حصر الأدب

الشعبي في العراقة يعني بالضرورة إعادة إنتاج إبداعات الأدباء السابقين. إن التقليد مناقض للتطور. والأدب الشعبي ظاهرة اجتماعية تعبر باستمرار عن حاجات جديدة.

- "الأدب الشعبي المغربي هو مجموعة العطاءات القولية والفنية والفكرية والمجتمعية التي ورثتها الشعوب التي أصبحت تتكلم العربية وتدين بالإسلام" يدل هذا التعريف على أن الأدب الشعبي ليس وليد منطقة أو عرق معين وإن كان الموروث التاريخي أصلا رئيسيا فيه ولكنه نتاج رقعة جغرافية وحضارية واسعة شاركت شعوبها التي تعبر بالعربية وتدين بالإسلام في صنعه بموروثها القديم عبر مراحل التاريخ، ويتضمن الأدب الشعبي آثار الفلاسفة والعقائد سواء التي أنتجتها الشعوب صاحبة هذا الأدب أو التي تتعلق بالبلدان المجاورة لها. ولا يتحدد معنى الأدب الشعبي دون صلته بكل هذه التأثيرات، ولا يمكن أن نتجاهل التأثير الذي مارسه الموروث التاريخي على الأدب الشعبي.

ويقول الباحث عبد الحميد محمد في كتابه روح الأدب: "الأدب الشعبي رباط وثيق بكل أمة ، يولد معها ويتزعم بجوارها ويتربى في تربيتها، ويرضع من ثديها، ويجتر كل الحياة حلوها ومرها، بلا تباطؤ، فإذا هو بعد ذلك أدب شعبي ، شديد الالتصاق بهذه الأمة، مكين في روحانيتها، متشبث في قاعدتها، غائص في أعماقها، فيصر في ترجمة لها وعنوان " ، فهو نتاج ملايين من أفراد وجماعات جيلا بعد جيل.

أما محمد المرزوقي فيربطه بمصطلح الفلكلور، إذ يقول أن الأدب الشعبي هو مصطلح مقابل للمصطلح الغربي فلكلور.

### مميزات الأدب الشعبي:

- 1- تعدد التعريفات التي وضعت للأدب الشعبي، وذلك لأسباب كثيرة أهمها: الطبيعة الشفوية للمادة الشعبية، اختلاف الرؤى والمنطلقات التي يتسلح بها كل باحث، غنى واكتناز المادة الشعبية.
- 2- عراقة الأدب الشعبي: إذ يستحيل الجزم بتاريخ محدد لظهور أول شكل تعبير شعبي عكس ما نجده في الأدب الرسمي.
- 3- الواقعية: فمهما كان مستوى الأدب الشعبي إلا أن بنيته ومضمونه مرتبط بالشعب ومعبر عن قضايا ومشاكله وتحدياته اليومية.
- 4- الجماعية : في شكله ومضمونه ، فالمبدع الأول دائما ينوب في الجماعة ، وبالتالي كل نتاج شعبي تنتصر فيه الجماعة ككل مما يجعله أكثر تعبيراً عن المجتمع من الأدب الرسمي.

5- تداخل الأدب الشعبي مع فنون أخرى: إذ يعتبر الأدب الشعبي وعاء فكريا وثقافيا يحوي المعتقدات الدينية، التاريخ، السحر، المعتقدات، الفلسفة....

وظائف الأدب الشعبي: للأدب الشعبي دور مهم في المجتمع على الصعيد الفكري والتربوي والعلمي، وغيرها، منها الوظيفة النفسية، إذ يعبر عن بواطن الإنسان ومكنوناته، والوظيفة التربوية، إذ يعمل على نشر القيم والمبادئ من خلال الأمثال و القصص.

### تصنيفات الأدب الشعبي

إن الأدب الشعبي أدب زاخر ومكتنز يستحيل حصره، مما يجعل إمكانية درسته أو تصنيفه تصنيفا دقيقا محكما ضمن قوانين نظرية محددة ، أمرا غاية في الصعوبة، ومن جهة أخرى الدينامية التي يخضع لها الأدب الشعبي عامة والقصص بشكل خاص يصعب من هذه المهمة.

تعد نبيلة إبراهيم أكثر الباحثين إسهابا في الحديث عن الأدب الشعبي ومحاولة الفصل في كل شكل تعبيرى على حدة، إذ خصصت كتابا كاملا سمته بـ أشكال التعبير في الأدب الشعبي، تحدثت فيه عن أهم الأشكال التعبيرية ، كالحكاية الشعبية ، الشعبية والمثل واللغز والنكتة والحكاية الخرافية .

تصنيف الأمثال: يعد المثل الشعبي من بين أهم الأشكال التعبيرية الأكثر انتشارا في المجتمعات خاصة المغربية منها، وأكثرها استقطابا للدارسين، إلى جانب الحكاية طبعا، ومن بين أهم المصنفات كصنف محمد بن أبي شنب، اذ يعود إلى مستهل القرن العشرين، وسماه " أمثال الجزائر والمغرب العربية مجموعة ومترجمة ومشروحة" عمد فيه إلى الاستعانة بأمهات الكتب ومجمعات الأمثال العربية، كما اشتغل الباحث على التركيب اللغوية للأمثال ودلالاتها المختلفة.

يحتوي هذا المصنف على 3127 مثلا مسجلا في لغته الأصلية ، وفي تنوعاتها التعبيرية المختلفة، مرتبه حسب الترتيب الأبجدي.

أما المصنف الثاني فهو مصنف عبد الحميد بن هذوقة، إذ جاء هذا المصنف مرتبا ترتيبا أبجديا عمل فيه المؤلف على جمع أكبر قدر ممكن من الأمثال المتداولة في قرية الحمراء، غرب مدينة سطيف، فقام بتسجيل الأمثال وشرحها وذكر مضربها بغية تقريب المثل من المتلقى.

2 تصنيف القصص: من بين أكثر المواضيع تشعبا من حيث المنهج والآليات المعتمدة، وذلك لخصوصية القصص الشعبي مع غيره من الأشكال الأخرى كالمثل والحكمة.

اتباع الكثير من النقاد التصنيف حسب المحتوى منها الثابت العالمي الذي وضعه أنتي آرنى ، وستيث طومسون تحت عنوان أنماط الحكايات الشعبية ، إذ هناك حالات وسيطة يصعب فيها تصنيف الحكاية ضمن نمط أو آخر ، فيمكن لموضوع أسطورة في منطقة ما أن تكون موضوع خرافة في منطقة أخرى وقس على ذلك في الأشكال الأخرى المتقاربة في الشكل.

أما تقسيم أندري يولس الأشكال التعبيرية إلى أشكال بسيطة وأخرى مركبة فقد أثبت في كثير من الأحيان تحول المركب إلى بسيط عكس ما هو مفروض من تحول البسيط إلى مركب.

ومن بين التصنيفات التي يجدر بنا ذكرها تصنيف عبد الحميد بورايو الذي اعتمد تقسيم القصص إلى: أصناف أساسية( قصص البطولة، الحكايات الشعبية، الحكايات الخرافية) وأصناف فرعية تتفرع عن كل صنف، من الأصناف الرئيسية( منها قصص البطولة البدوية، المغازي، الحكايات الخرافية الخالصة، حكايات الأغوال الغبية ، النوادر، حكايات الحيوان، حكايات الواقع الاجتماعي).